وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

مادة العرب قبل الاسلام

المرحلة الاولى

الديانة في مكة قبل الاسلام

اعداد

الاستاذ الدكتور حنان عيسى جاسم

Email: hissa@tu.edu.iq

٢٠٢٣-٢٠٢٤

الديانة في مكة قبل الاسلام

بعد ان انزل ابراهيم زوجته هاجر وابنه اسماعيل في مكة الذي كان من البشر وقاحلا جافا لاماء فيه اذ قال "ربي اني اسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك الحرام ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" ابراهيم، ٣٧ ، تدل هذه الاية القرنية على عدة امور هامة منها: ان مكة كانت جافة لاماء ولازرع فيها ومثلما نعرف ان العرب آنذاك كانوا يتحرون الماء ليسكنوا قربهم للحاجة الضرورية للماء لديمومة الحياة ، الامر الاخر والاهم ان مكة كان فيها بيت الله وهذا ما اثبتته الاية القرآنية متمثلة بقول ابراهيم "عند بيتك الحرام" ، كانت القوافل التجارية تمر في حلها وترحالها عن طريق مكة الى بلاد الشام الا انهم لا يطيلون المكوث فيها لشدة حرها وانعدام الماء فيها ، الا انه وبعد استنباط بئر زمزم استئنست القوافل التجارية المارة من اليمن الى بلاد الشام المكوث في مكة ومنهم قبيلة جرهم ومن ثم تبعتها قبيلة خزاعة التي آلت امور البيت الحرام اليها بعد ان اقام ابراهيم وابنه اسماعيل قواعده امتثالا لامر الله "واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل" البقرة ، ١٢٧

ومن هذا نستنتج ان ديانة اهل مكة في البدء كانت الديانة الاسلامية بناءا على قول ابراهيم الذي ذكره الله في القرآن"وانا اول المسلمين" الانعام ، ١٦٣، استمر الناس على دينهم الاسلامي الا ان سيطرت قبيلة خزاعة على مقاليد السلطة في مكة منتزعتها من جرهم وقد استمرت سيطرة خزاعة على مكة نحو ثلاثة او اربعة قرون حسب ما ذكرته الروايات التاريخية ، وحينما تولى عمرو بن لحي الخزاعي مقاليد السلطة في مكة عمد الى سياسة اخرى غيرت مسار الديانة في

مكة اذ غير دين التوحيد الى ديانة الشرك بجلبه للاصنام ووضعها حول الكعبة وجعل لكل قبيلة صنما ، وكانت غايته من ذلك ان تحج كل قبيلة الى صنمها لتنشيط عملية التجارة التي كانت تتم في مكة في موسم الحج ، الا ان تجارتهم آنذاك كانت تجارة داخلية محدودة تعتمد على ماتجلبه القوافل التجارية المارة بها في طريقها ، قبل ان تسن قريش معاهدة الايلاف بعد ان استطاع قصي بن كلاب نحو القرن الخامس الميلادي من اخذ مقاليد الحكم من خزاعة والذي استمر على ما نتهجه عمرو بن لحي من عبادة الشرك والسبب في ذلك هو نفس رؤية عمرو بن لحي الاقتصادية من جلب القبائل العربية التي تحج لاصنامها وتنشط عملية التجارة سيما وان الحجاج العرب كانوا يجلبون الهدي الى الكعبة من ابل وانعام اخرى وهدايا ونذور عملت على تنشيط وتنامي الثروة الاقتصادية في مكة والدليل على ذلك ما ماتم العثور عليه عند تجديد حفر بئر زمزم من ذهب ، وكذلك ماكان يتم وضعه في جوف الكعبة من هدايا من الذهب وهدايا ثمينة كثيرة ، وحسب ماذكرته الروايات التاريخية انه تم العثور على صورة مريم والمسيح وهذا يدل على ان معتنقي الديانة المسيحية كانوا يأتون لزيارة الكعبة كذلك بصفتها القدسية لانها بيت الله الحرام هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ساهمت الاسواق التجارية التي تم انشاؤها في زمن قصي بن كلاب في تنشيط عملية البيع والشراء واهمها كان سوق عكاظ وكذلك مجنة وذو المجاز والعديد من الاسواق التجارية التي كانت تنشط على طول طرق الحج من والى مكة المكرمة ، ومن ضمن الاجراءات الاخرى التي اتبعتها قريش لجذب الحجيج الى مكة ه تفعيل عملية الرفادة والسقاية وانهم كانوا ينبذون الزبيب الذي كانوا يجلبونه من الطائف لنبذه في الماء الذي كنوا يسكبونه في حياض من الآدم لتحليته ، وكذلك ساهم "النسيء" في الحفاظ على وقتا معين من السنة لتتم فيه عملية الحج عند نضوج الثمر وانتاج الحيوانات وكذلك جز اصوافها لتتم المتاجرة به فضلا عما كان يأتي به تجار اليمن من عطور وبخور وافاويه ولبان .

ان النظام الاداري والسياسي والحضاري الجديد الذي ابتكره قصي بن كلاب وما عمل على تطويره مما كان موجود قبله ساهم مساهمة كبيرة في علو شأن مكة بين القبائل العربية ومنها السقاية والرفادة ودار الندوة واللواء والاعنة واسكان قبيلة قريش قرب الحرم وقطعهم لشجر الذي كانوا يهابون ان يقطعوه لان من حرم بيت الله فكانت خطوة جريئة قام بها قصي ادت الى تعاظم مكنته في نفوس قبيلة قريش وكذلك بفية القبائل العربية لاسيما بعد المصاهرة السياسية بزواجه من حبى بنت حبشية التي عززت مكانته السياسية والادارية لمكة وكذلك بعقده للاحلاف مع بقية القبائل ، وعلى الرغم من تعزيز عبادة الشرك الا انه كانت طائفة الاحناف ممن كانوا على دين نبي الله ابراهيم التي حرمت على نفسها عبادة الاصنام واكل مايذبح لها وما يهدى لها استمرت على نهجها ولم يتم التعرض لهم من قبل سكان مكة وكانت لهم مكانتهم على الرغم من محدودية عددهم وهذا يؤكد على احترام اهل مكة لكل الاديان الموجودة في مكة ومن يفد الى الكعبة حاجا وتلك سياسة ذكية من قبلهم تهدف الى استقطاب كافة القبائل العربية وتزعها بصفتهم اهل بيت الله حتى ان قريش انتهجت لنفسها سياسة .

"الحمس" وكان للحمس طقوسهم الخاصة في الحج والتي لايحق لاحد ممارسها الا من انتمى لهم عن طريق المصاهرة ، وكلمة الحمس تعني التشدد في الدين ، وكان هناك الحلة وهم من يطوفون بالبيت الحرام عراة من لملابس اعتقادا منهم انها مليئة بالذنوب فلا يجوز الطواف بها فيلقونها على الارض تدوسها الارجل وتتقاذفها الرياح و"الطلس" وهم وسطا بين الحمس والحلة اذ لايطوفون عراة حول الكعبة وكذلك لايطوفون بملابسهم بل كانوا يشترون الملابس من قريش وبهذا فقد اوجدت قريش طريقا تجاريا اخر للكسب المادي بابتداعها لظاهرتي الحلة والطلس . تعاظمت مكانة اهل مكة بين القبائل ونتيجة للاسواق التجارية التي كانت تعقد في موسم الحج

وما كان يصاحبها من فعاليات ادبية اصبحت قريش تحكم بين الشعراء والادباء سيما في سوق عكاظ ، مما ادى الى توحيد اللهجات وتقاربها لتصبح قريبة من لهجة قريش وتعزيز مكانتها بين العرب قبل الاسلام .